

## من وثائق المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام" حول قضية الصحراء

### - وثائق تاريخية و استراتيجية -

#### "خلاصات نقاش حول الصحراء"

تناول النقاش حول الصحراء، مجموعة من القضايا، من بينها:

1) الجانب التاريخي ، و تم التعرض لمسألة الوحدة أساسا ، هذه الوحدة ، لا تشكل معطى جامدا ، بل تتحدد بالشروط الملموسة لكل فترة تاريخية ، أي العوامل الاقتصادية و السياسية و الإيديولوجية ، و قد قامت هذه الوحدة بين الكيانات الثلاثة من القرن الثامن حتى القرن 14 ، على أساس التجارة التي تمر طرق قوافلها عبر الكيانات الثلاث ، منطلقة من إفريقيا نحو أوروبا و العكس. و لعب الإسلام دورا إيديولوجيا أساسيا في نشأة و تطور السلطة المركزية و امتداده إلى الكيانات الثلاثة و ما جاورها. و عرفت هذه الوحدة بداية تفككها منذ القرن 14 ، نتيجة اندثار العامل الاقتصادي الأهم الذي يشكل أساسها ، مع تحول طرق التجارة ، غير أن هذه الكيانات ظلت تحافظ على روابط وحدوية ، رغم تقلص قوة السلطة المركزية و انكماش مجال سلطتها. و تتمثل هذه الروابط على الخصوص في الدين ، و الروابط الحضارية و الاندماج التجاري الحاصل بين القبائل من جراء تنقلاتها بين الكيانات الثلاث. و ظلت السلطة المركزية نتيجة ذلك ،

هذا الهامش هو من وضع موقع "30 غشت":

كتبت هذه الوثيقة سنة 1978 ، في سياق النقاشات التي عرفتها المنظمة هذه السنة بالسجن المركزي بالقيظرة ، و التي كان من بينها موضوع الصحراء الذي عرف بدوره صراعا قويا بين التيار الثوري داخل المنظمة و التيار اليميني الإصلاحي بقيادة المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري ، اللذان رفضا مواقف المنظمة تحت غطاء خدمة "الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية بالمغرب" ، بعيدا عن أي أفق غرب عربي أو عربي ، كما رفضا ضمن نظرة خطية (تسير في خط مستقيم) ، العلاقة الجدلية بين الكفاح المسلح و العمل السياسي و التي لا ترى أي انطلاق للعمل المسلح قبل بناء الحزب الماركسي اللينيني ، و هو ما اعتُبر نظرة ميكانيكية و سياسوية. إضافة إلى كونها تضع الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ضمن أفق مغلق و شوفيني. و لذلك تخلى اليميني الإصلاحي على مبدأ تقرير المصير لصالح مناهضة الحرب في الصحراء و تبني سرا مفهوم "مغربية الصحراء". و قد عرف اليميني الإصلاحي بوثيقة "نقد نظرية الثورة في الغرب العربي" التي نأسف لعدم نشرها (كون أحدهم ، و هو من الذين يتميزون بالدفاع عن خط "إعادة البناء" التحريفي ، و يكثر من تمجيد أبراهام السرفاتي الذي يعتبره من خير ما أنتجته الطبقة العاملة المغربية ، تسلم الوثيقة طلبا منه لقراءتها ، لكن صاحبنا استولى عليها و أدخلها مملكة النسيان كما هو الحال بالنسبة للعديد من الوثائق). إن هذه الوثيقة هي جزء من الوثائق التي تؤرخ للحياة و الحركة التي كان يعرفها التيار الثوري داخل منظمة "إلى الأمام" ، و هي بالمناسبة تلقي الضوء على الكيفية التي بها كان ينظر مناضلو الخط الثوري لقضية الصحراء.

تمد ، حسب الفترات ، تأثيرها إلى هذه المناطق ، هذا التأثير الذي اتسم بشكل عام بطابع محدود حيث كانت القبائل أو فدراليات القبائل تتحكم في تسيير أمورها بنفسها.

لقد لعب الاستعمار دورا هاما في تعميق التفكك الذي عرفته وحدة الكيانات الثلاث ، انطلاقا من التغييرات التي سيحدثها على البنيات الاجتماعية لكل منها. لقد عرفت البنية الاقتصادية للمجتمع المغربي توغلا أكبر لنمط الإنتاج الرأسمالي ، لما أحدثه ذلك من تفكيك لأنماط الإنتاج القديمة و تغييرات على مستوى البنية الطبقية ، فقد عرف الإقطاع والبرجوازية الكبيرة تدعيما لمواقعهما ، كما نشأت الطبقة العاملة المغربية. ( و ما هو جديد على مستوى التمايزات الطبقية في حد ذاتها ، هو التطورات النوعية التي عرفتتها ، أما التمايزات الطبقية في حد ذاتها فقد كانت قائمة قبل دخول الاستعمار ، حيث كان الإقطاع و البرجوازية الماركنتيلية يحتلان موقعا في إطار المجتمع المغربي بشكل لم يعرفه المجتمع الصحراوي.

و إذ كانت هذه التغييرات قد شكلت عامل إضعاف للروابط الوحدوية بين الكيانات الثلاث ، فإن مفعولها ظل نسبيا. فهي لم تستطع تكسير الوحدة النضالية لجماهير المنطقة ، رغم الضربات التي وجهتها لها في فترة الغزو (حتى حدود 1935).. و قد عرفت هذه الوحدة ، امتدادا عبر جيش التحرير و المقاومة رغم تخاذل القيادة للحركة الوطنية البرجوازية. غير أنها تعرضت لانتكاس خطير مع بدء المخطط الاستعماري الجديد ، المنطلق من اتفاقيات إيكس – لبيان ، و مع الضربات التي سيتعرض لها جيش التحرير في المغرب و الصحراء ، و خصوصا في عملية إكوفيون.

إن كل هذه العوامل ، ستدفع في اتجاه تعمق الوحدة الوطنية للشعب الصحراوي ، من خلال نضاله ضد الاستعمار و الرجعيات ، خاصة بعد 1967 ، و في اتجاه ارتقائه إلى أشكال متقدمة من النضال ، و متجذرة من حيث الشعارات ابتداء من 1970.

2) مخطط الامبريالية و الرجعية في الصحراء ، جاء على إثر اهتراء النظام الفرنكاوي و عجزه على الاستمرار في دوره الاستعماري ، لخدمة مصالحه الطبقية و مصالح الامبريالية في الصحراء ، في الوقت الذي عرف فيه نضال الشعب الصحراوي تناميا ، بدأ يندرج بتوجيه الضربات الأخيرة للتواجد الاستعماري. و دور المنقذ لهذا المخطط الموكل للنظام المغربي (ضمن الحلف الثلاثي) ، ارتبط بسعي النظام للحصول على متنفس أمام تعمق الصراع الطبقي والأزمة الاقتصادية ، حيث أصبح النظام عاجزا عن توفير شروط ملائمة للتراكم الرأسمالي و لجم الحركة الجماهيرية. هذه العوامل المشتركة ، جعلته يرمي بكل ثقله في عملية الغزو و الاحتلال جاعلا منها "ضم الصحراء" المسألة الرئيسية في سياسته. و في هذه الشروط ، حاولت دون أن تفلح في ذلك ، تدجين الحركة الجماهيرية بحملات شوفينية كثيفة و شعارات وطنية مزعومة ، مستغلا التنافس الأحزاب البورجوازية حولها في إطار التحالف التي نجحت في جر هذه الأحزاب إليه ، تحت رعايتها.

3) لقد اكتسى موقف "إلى الأمام" من قضية الشعب الصحراوي أهمية كبيرة. لكن هذا الموقف ظل ناقصا. لقد كان يقر بحق تقرير المصير و يقف في وجه شوفينية الأحزاب البورجوازية و اليمين و في وجه عملية الضم العدوانية و يفضح

خلفياتها و نتائجها للجماهير. غير أنه لم يعبر عن كون سكان الصحراء يشكلون شعبا له كامل الحق في الانفصال تمشيا مع طموحاته الوطنية و ذلك بدون قيد أو شرط. فقد ساندت نضال الشعب الصحراوي و لكن باعتباره مجرد جماهير (هذه الصيغة الغامضة و التي تحمل رغم غموضها تصورا محددًا) لها الحق في رفض ضمها من طرف النظام الكمبرادوري ، و لكن يبقى نضالها من أجل الإستقلال ، مقيدا بأفق إعادة بناء الوحدة مع الشعب المغربي ، أي أن هذا النضال ليست له هو في حد ذاته آفاق بناء سلطة مستقلة.

إن هذا الغموض يمتد حتى إلى أرضية 13 نقطة ، رغم إقرارها بكون جماهير الصحراء تشكل شعبا و بحقها في تقرير مصيرها و في الإستقلال ، فهي تطرح كشرط لتشكيلها (أي الجماهير كشعب) ، أن تخوض النضال الثوري في إطار الثورة ، الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية تستهدف بناء وحدة شعوب الغرب العربي.

إن وجود الشعب الصحراوي واقع قائم على عوامل موضوعية و ذاتية ، لا تتعلق بتوفر الشرط المذكور ، فهذه المسألة ينبغي عدم خلطها مع الضرورات النضالية التي يفرضها هذا الواقع على هذا الشعب. إن مصالحة التاريخية و الحفاظ على مكاسبه النضالية و استقلاله الحقيقي ، يحتم عليه بالفعل استمرارية النضال ضمن مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية في إطار الغرب العربي.

4) إن العوامل الموضوعية أو العاملة في اتجاه توحيد نضال الشعوب الثلاثة ، تتلخص في العلاقات التي انبنت تاريخيا بين هذه الشعوب ( و التي وفرت شروط وحدة نضالية عبر فترات طويلة من تاريخ الشعوب الثلاثة) ، و في وحدة العدو الذي يمتص خيراتها و يهدد استقلالها أي الامبريالية و الأنظمة الرجعية المهيمنة و حلفائها.

و هذا الواقع يطرح على القوى الثورية مهمة بناء جبهة على صعيد الغرب العربي ، تلتقي حول مهمات النضال المعادي للامبريالية و الرجعية في الوضع الراهن ، غير أن هذا النضال ، لا يمكن بلوغ أهدافه [ التحرر الفعلي من الامبريالية و من هيمنة الطبقات المرتبطة بها و صيانة مكاسب هذا النضال ] إن هو لم يستهدف بناء وحدة الشعوب الثلاثة ، و جعلها سدا منيعا أمام الخطر الذي تظل الامبريالية و الرجعية تشكله بالنسبة للمكتسبات الثورية لكل من الشعوب الثلاثة. كما أن هذا النضال سيعجز عن تحقيق أهدافه ، إن لم يندرج ضمن الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، بقيادة البروليتاريا ، الطبقة الوحيدة ، القادرة على توجيهه نحو أفق بناء الاشتراكية ، و صيانتته من الانحراف و السقوط من جديد في أحضان الإمبريالية.

إن المهمة الراهنة ، على مستوى النضال الوحدوي للشعوب الثلاثة ، مهمة بناء الجبهة المعادية للامبريالية ، يجب العمل على جلب كل القوى الديمقراطية الثورية للإسهام في إنجازها ، فالجبهة الشعبية بالصحراء الغربية ، و القوى الديمقراطية الثورية بالمغرب ، و القوى الديمقراطية الثورية الأخرى بموريطانيا ، تشكل بمجموعها قوى ذات مصلحة قصوى في تكثيف الجهود في مواجهة الأعداء المشتركين في هذا الظرف. إنه موقف ينطلق من الواقع الملموس لشعوب المنطقة و يعبر عن مصالحها الحقيقية. و تجدر هنا الإشارة إلى بعض الأصداء التي لقيها هذا الموقف داخل الجبهة الشعبية و التي تبرز من خلال دعايتها من حين لآخر ، و إن كان الاتجاه العام لمواقف الجبهة من حين لآخر لا يلتقي

بعد مع هذا الموقف ، ولا مع تصورنا الشامل لنضال شعوب الغرب العربي .

إن تناول المسار التاريخي المستقبلي لنضال شعوب الغرب العربي ، يضعنا أمام إشكالات عديدة ، مثلا: ما هو الإطار الجغرافي للثورة لبناء الوحدة؟ هل إطار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية في كل بلد على حدة ، و تبقى مهمة بناء الوحدة مطروحة لمرحلة لاحقة؟ أم أن هذا الإطار هو الكيانات الثلاثة للغرب العربي؟ هل يمكن أن تكون الجزائر من ضمنه؟

و تلتقي وجهات نظر كل الرفاق حول ضرورة تطوير أشكال الوحدة النضالية لشعوب المنطقة ، غير أنها تختلف حول المسار الذي يندرج ضمنه هذا النضال: هل هو يستهدف بناء الوحدة بين الكيانات الثلاثة ، كمهمة مطروحة في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية في إطار هذه الكيانات؟ أو هو يندرج ضمن النضال الوحدوي لكل الشعوب العربية ، المستهدف بناء الوحدة العربية ، مما يعني أن هذه الكيانات الثلاثة لا تشكل إطارا متميزا من ضمن كل الكيانات العربية ، ولا يتوفر على خصوصيات تجعل من بناء الوحدة في إطاره حلقة أولى من مهمة بناء الوحدة العربية؟ و وجهتي النظر اللتين تبلورتا بهذا الصدد هما كالتالي:

-وجهة نظر أولى ترى أنه يجب التمييز بين الوحدة النضالية ، و هي قائمة حاليا و مطروح تطويرها ، و بين الوحدة الاستراتيجية الاندماجية المطروحة استراتيجيا. إن الموقف المعبر عنه في أرضية 13 نقطة حول الوحدة في الغرب العربي في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، قد تبلور في شروط صراع بين الشعب الصحراوي و الحلف الامبريالي الرجعي ، و في فترة لم تكن موازين القوى في هذا الصراع ماهي عليه اليوم ، و كان ينظر للنضال التحرري في الصحراء على أنه سوف يمتد عبر مرحلة طويلة ، يتم من خلالها بناء الوحدة النضالية بين شعوب المنطقة ، و إنجاز هذه المهمة من خلال مسيرة موحدة للثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية.

غير أن هناك عناصر جديدة حصلت على الوضع منذ 1976 و هي: تفتت الحلف الثلاثي ، و تطور حركة التحرر الوطني في الصحراء حيث أصبحت قوة تهدد جديا النظام. إن استقلال الصحراء ، يعني قيام نظام برجوازي صغير على نمط النظام الجزائري ، و تنعدم انطلاقا من ذلك الشروط الخاصة التي تعطي لإطار الغرب العربي طبيعته المتميزة كإطار لبناء الوحدة كمرحلة سابقة لبناء الوحدة العربية. إن الشعب الصحراوي يصبح آنذاك على نفس مستوى شعوب عربية أخرى (الشعب الجزائري مثلا) فيما يتعلق بمسألة الوحدة النضالية و بناء الوحدة الاندماجية كهدف استراتيجي (1). (انظر الملاحظة المطابقة لهذا الموقف في نهاية هذا الملخص).

-أما وجهة النظر الثانية فتري: إن ما يحدد ضرورة وحدة نضال القوى الثورية و شعوب الغرب العربي ، و جهة بناء الوحدة في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، ليست هي ميزة أو طبيعة خاصة في فترة تاريخية معينة لحركة التحرر الوطني في أحد الكيانات ، و بالضبط في حالتنا في الصحراء (مع أنه قد لا تختلف عن المسار الذي يمكن أن تأخذه هذه الحركة). فتغير الواقع السياسي يطرح في كل فترة مهمات راهنة تجسد المهمة الاستراتيجية ، و قد تنجز في

إطار تحالف القوى الديمقراطية الثورية المتواجدة ، و الوحدة النضالية ليست مطروحة دائما مع نفس القوى ، حيث يمكن أن تكون ذات طبيعة ديموقراطية ثورية في فترة محددة ، بتحولها إلى قوى مهادنة للامبريالية و الرجعية ، أو حتى تابعة لها. و حسب كل ظرف ، تبقى مهمة تحقيق الوحدة النضالية في إطار تحالفات محددة (الجهة المعادية للامبريالية ، الجهة الثورية ...) مطروحة على القوى الجذرية التي يفرزها الصراع الطبقي في هذه الشروط داخل كل كيان (2).. و تبقى العوامل الموضوعية المحددة لهذه الوحدة ، هي نفسها ، كما اشير لها سابقا ( الروابط التاريخية المتعددة ، الجوار ، وحدة العدو: الامبريالية و الرجعية). هذه العوامل التي تتخذ طابعا أكثر عمقا بالنسبة للشعوب الثلاثة منه بالنسبة للشعب الجزائري.

و لكن هذا غير كاف لتحديد العلاقة مع الشعب الجزائري و آفاقها التاريخية. و ما هو واضح أن النظام الجزائري لعب دورا تقديميا معاديا للامبريالية في المنطقة في الظرف الراهن ، و أن هذا النظام مؤهل لدعم النضال الديمقراطي الثوري ، كما قام بذلك تجاه الشعب الصحراوي منذ 1975.. و أشكال النضال المشترك مع هذا النظام ، و كسب دعمه للنضال الديمقراطي الثوري لشعوب المنطقة تنبع من طبيعته هذه ، و ترتبط باستمرار هذه الطبيعة. و يبقى تطور الصراع الطبقي و ما يتمخض عنه من تطور نضال الشعب الجزائري و فرزه لقواه الديمقراطية الثورية و طبيعته البروليتارية ، هو العامل الأساسي المحدد لأشكال النضال المشترك معه ، و للموقع الذي سيحتله في إطار المسيرة الثورية لشعوب الغرب العربي. و نضال شعوب الغرب العربي ، بآفاقه الوحدوية في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا ، يشكل الحلقة المرحلية التي تتجسد فيها المهمة التاريخية لبناء الوحدة العربية.

#### إضافات:

1) إن الموقف الأول ، يرى أن بناء "جبهة عربية مناهضة للامبريالية " في الغرب العربي مسألة أساسية يجب إنجازها على مستوى الكيانات الثلاثة لمواجهة العدو المشترك. المسألة التي نختلف فيها هي الوحدة. إن الوحدة كما بينت تجارب عربية ، لا يمكن أن تحققها البرجوازية الكمبرادورية و لا المتوسطة و لا الصغيرة ، إنها مهمة ملقاة على البروليتاريا العربية إنجازها. هذا بشكل عام ، أما في منطقة الغرب العربي فالواضح ، رغم عدة إيجابيات: الماضي النضالي المشترك لشعوب المنطقة ، مواجهتهم لعدو مشترك ... فإن إنجاز الوحدة هو رهين بتوفر قيادة بروليتارية على مستوى الأقطار الثلاثة ، أما المراهنة على بناء الوحدة مع الجبهة الشعبية بشكلها الحالي فهذا غير ممكن نظرا لطبيعتها الطبقيّة.

وحتى تحديد أن وحدة كيانات المنطقة ستتم في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، يبقى معلقا ورهينا ب بروز التنظيم الماركسي – اللينيني في الصحراء و لعبه دورا طلائعيا في الثورة الصحراوية ، و هذه المسألة الأخيرة ، كل المعطيات المتوفرة لا تثبتنها.

مجموعة من الرفاق داخل المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام"

بالسجن المركزي بالقنيطرة